بين اللغة والأدب والتاريخ

الفالوذج

للاستاذ محمد شوقى أمين

— ١ —

لفظه . تعريبه . الابدال من حروفه . مستعمله فى الأدب . واحده . جمعه . معناه . رحلته إلى العرب . إطعامه الناس . تهيب ذوى الورع إياه . رحلة أعرابي إليه .

— ١ —

الفالوذج كلمة فارسية النشأة ، أصل منطقها على ألسنة أهلها : بالوذه[١] ، فأول حروفها : الباء التى بين الباء والفاء ، أو المخلوطة بالفاء على تعبير الشهاب الخفاجى[٢] . وختامها : الهاء الساكنة على أصل اللسان الفارسى[٣] . ومن حروفها الذال المعجمة كما فى الكثير الأكثر من كتب اللغة وأقوال الأئمة . ولكن الشيرازى محمداً علياً قال : إن الفالوذج معرب عن بالوده بالدال المهملة[٤] . وهذا يؤيد ما نقلته المعجمات المؤلفة لهذا العهد من قولها : إن الفالوذج بالمهملة ، لغة فيها بالمعجمة[٥] . والشيرازى من تبعة الفرس ، فهو يتحدث عن لغة قومه . فحقيق بنا أن نرجع إليه ، ونعول عليه ، وندع ما لكسرى لقوم كسرى !

وقد عرّب العرب هذه الكلمة ، بعد تشذيب وتثقيف ، مبالغة فى تحقيق الجنسية اللغوية[٦] ، كما يقول الرافعى ، فقد سَمَوْا بالحرف الأول المترجح بين الفاء والباء ، إلى الفاء ، إذ كان هذا الحرف المذبذب ليس فى عداد الأصلى من حروف الفصحى ، واستبدلوا الدال بالدال ، كما صنعوا فى سَذَاب وساذَج وباذَق ، فالدال عوض من الدال الفارسية فى هذه الألفاظ . ثم جعلوا الهاء جيماً[٧] ، على أسلوبهم الأغلبىّ فى التعريب[٨] . فقالوا : فالوذج ، ولم يرتض هذا الإبدال الأخير جمع من نقدة اللغة ، فقالوا : بل تبدل الهاء قافاً[١] ، وهى طريقة العرب كذلك[٢] ، أو تحذف الهاء دون إبدال ، وعلى هذا القول المخيّر بين اثنتين من الحذف أو إلحاق القاف : تماسَح فقهاء اللغة ، فما إن تجد فى المعجمات الوثيقة وما فى حكمها إلا : الفالوذ ، أو الفالوذق

فأما مناهل الأدب والتاريخ ، ومكانز النوادر والطرف ، فقد آثرت كلمة الفالوذج على هذا الوجه ، فهى ثَمّ مستعملة سائرة ، لا يُعدل عنها إلا فى الندرة والفلتات . وهى كذلك فى أكثر شعر الشعراء بين قديم ومحدث ، ولا سيما عصر بنى العباس . وما أجدر ذلك على اجتماعه أن يكون برهاناً قائماً على أن جمهور الأمة العربية كان يجري على إبدال الهاء جيماً ، وأن اللفظ قد ذاع على هذه الصورة أول ما ذاع . فتلقفته الألسن بعد ذلك عصراً فى أثر عصر ، وبقى التصحيح اللغوى أثراً مهجوراً لا يقتفيه أحد فى صحراء المعجمات !

والطائفة من هذه الحلواء : فالوذجة ، كما قال السيرافىّ ،[٣] وهذا قول يَمُدُّ كلمة الفالوذج فى أسماء الأجناس التى يُفرق بينها وبين واحدها بالتاء ، كتمر وتمرة ، وبطيخ وبطيخة . وهى قياس فى المخلوقات ، سماع فى المصنوعات ، فما يجيء من هذه مُشَبَّه بما جاء من تلك[٤]

ولو أريد جمع الفالوذج جمعاً صناعياً على ما ينقاس فى مثله ، لكان أقرب شيء متناولاً جمع الألف والتاء ، كما هو مفهوم قول سيبويه[٥] ، وصريح رأى ابن عصفور[٦] . فيكون : الفالوذجات . ولم يقع لى هذا الجمع فيما قرأت . بيد أن الزمخشرى أثبت جمع الفالوذ على فواليذ ، فى سجعة من أسجاعه الرقاق[٧] . ولست أحُق : أذلك منه تطبيق على القواعد وصناعة ، أم نقل مأثور ، أم تقييد لسماع ؟ لم ينته إلىّ من علم ذلك إلا أن الجمع صحيح على أية خطة ![٨]

وقد ذكر أبو على الفارسى أن الكلمة الفارسية ترجمتها : الحافظ الدماغ[٩] ؛ ويبدو أن هذا التفسير كان متعارفاً للخاصة من العرب حين حلِيَت موائدهم بالفالوذج وحلَت . والدلالة على

(١) شفاء الغليل (حرف الفاء) (٢) مقدمة الشفاء
(٣) تاج العروس (٤) معيار اللغة
(٥) أقرب الموارد ، ومحيط المحيط ، ومعجم استنجاس
(٦) تاريخ آداب العرب (الأول — ١٩٩)
(٧) التاج (٨) الجاسوس على القاموس

(١) الصحاح (٢) كتاب سيبويه (الثانى — ٣٤٣)
(٣) المخصص (الخامس — ٢٠) (٤) شرح المفصل (الخامس — ٧١)
(٥) الكتاب (الثانى — ١٩٨)
(٦) همع الهوامع (الاول — ٢٣)
(٧) أساس البلاغة ! (٨) الاشمونى (الرابع — ١٤١)
(٩) المخصص (الخامس — ٢٠)

ذلك فيما حُكي عن الخليفة الأموي : سليمان بن عبد الملك [1] ، فقد كان أعرابي على مائدته يسرع في الفالوذج . فازحه سليمان بقوله : أأزيدك منه يا أعرابي ، فانهم يذكرون أنه يزيد في الدماغ ؟ فقال الأعرابي : كذبوك يا أمير المؤمنين ، لو كان كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل !

فلم يَنبس سليمان ، واحتملها منه ، ولم يحتملها له

— ٢ —

وكلمة الفالوذج تدل على حلواء ليست من أطعمة العرب ، وإنما هي من جملة ما اجتلبوه من موائد الفرس في مستهل الحضارة ، قبيل فجر الاسلام . وقد حكي أن عبد الله بن جُدعان التيمي [2] ، وهو الملقب بحاسي الذهب ، لأنه كان يشرب في إناء ذهبي ، وفد على كسرى مرة ، وأكل عنده الفالوذج ، فتعجب منه ، وسأل عن حقيقته ، فلما أُجيب بصفته ، ابتاع من بين الفرس غلاماً يحسن صُنعه ، ورجع به إلى مكة ، ثم تمت به أريحيّته إلى أن يطعم الناس عامةً جديد هذه الحلواء . فبسط الموائد بالأبطح إلى باب المسجد ، ثم نادى : من أراد أن يأكل الفالوذج فليحضر ، فاستجاب له الخلق من كل فج ، وكان ممن حضر أمية بن أبي الصلت . فقال يمدحه من قصيدة : [3]

لكل قبيلة هاد ورأس ... وأنت الرأس تقدم كل هادِ
عماد الخيف قد علمت معدٌّ ... وإن البيت يرفع بالعمادِ
له داع بمكة مُشمَعِلٌّ ... وآخر فوق دارته ينادي
إلى ردح من الشِّعرَى ملاء ... لباب البرّ يُلبَكُ بالشهادِ
ومالي لا أحييه وعندي ... مواهب يطَّلعن من النِّجادِ؟

ولما حفلت موائد العِلْية والسراة من العرب المتحضرين بالفالوذج ، طوفت في شأنه الأقاويل ، فنهيه ذوو الورع ، إذ كان المسلمون حديثي عهد بالحنيفية ، يتعففون عن كل ما تطالعهم به الأمم الدخيلة في مختلف أسباب الحياة ، وبخاصة المتع واللذائذ ، قانعين من شئون اجتماعهم بما أشرقت عليه شمس الاسلام ، وما رأي النبي صلوات الله عليه الناس يأكلونه فلم ينههم عنه . فإنه ليحكى أن الحسن البصري [4] — إمام الفقه والفتوى — سمع رجلا يعيب الفالوذج ، فذكر له الحسن أخلاطه التي يبنى عليها ، وقال : ما عاب هذا مسلم !... وعلم الحسن [1] كذلك أن رجلا يتنزه أن يأكله ، فراجعه ، فقال الرجل : يا أبا سعيد ، أخاف ألا أؤدي شكره ، فقال الحسن : بالكع ، وهل تؤدي شكر الماء البارد ؟ ثم تلا عليه قول الله : يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم .

ويظهر أن انتشار الفالوذج في الأمصار العربية والحواضر ، وتضوُّع أخباره في البوادي ، شوق الأعراب إلى استكناه هذا الطعام الموصوف ، فاني لأنسى ولا أنسى نادرة يقطر منها ماء الظرف ، وقعت لي في بعض القراءات ، وهي أن أعرابيا خرج يضرب آباط الابل إلى حضَر المسلمين ، يسأل : ما الفالوذج ؟ وثم يُبَرِّدْ ظهر مطيته حتى وُصف له ، فلما سمع الوصف تَمَطَّق ، ثم قال : إي والله ! لو نزلت هذه الصفة في القرآن لكانت موضع سجدة ... وهكذا كشفت تلك الرحلة الفالوذجية العاجية ، أمنية أدعى إلى العجب ، وهي أن تنزل صفة الفالوذج في محكم الكتاب : سورة الحلوى !!

« للبحث صلة »

محمد شوقي أمين

(١) العقد الفريد (٤ — ٢٩٤)

(١) العقد الفريد (الثاني — ٣٠٧) (٢) بلوغ الأرب (الأول — ٣٨٠)
(٣) اللآلئ البكرى (الأول — ٣٦٣)
(٤) البيان والتبين (الأول — ٣١)

﴿ ما هو ملتقى الطبقات الراقية من مصريين وأجانب؟ ﴾
﴿ هو ﴾
كازينو النزهة بالاسكندرية
﴿ الذى حاز إعجاب جلالة الملك ﴾
﴿ يقود الفرقة الخاصة بموسيقى الكازينو ﴾
الظريف جي جو
برنامج فصل الصيف
حفلات راقصة ظهر ومساء أيام : السبت والأحد والثلاثاء والخميس
حفلات ممتازة أيام الآحاد
مطعم أوربى راقى
الغذاء : ١٦ قرشاً و العشاء : ٢٠ قرشاً
وأيام الحفلات الراقصة ٢٥ قرشاً
إحجزوا محلاتكم مقدماً تليفون رقم ٢٧١٨٨